"الدراما" التركية..
أول ضحاياها المراهقون العرب وآخرهم الرئيس التركي

مهّـد الأتراك لعبور أفكارهم إلى يقين السـلوك للفرد العربي، ثـم محاولة توجيهه من خلال الإضـاءة المدروسـة، والمكياج الفاتن، مع قليل من مشـاهد "البلاج" الموجودة فـي الأفلام العربية القديمـة، وكذلك الأجنبية، من أجل الفن، وليس بنوايا سياسـية، فقد اسـتطاع المنتجون الترك أن يبتكروا طريقة أخرى لحقن السياسة في الوريد الاجتماعي العربي والإسلامي، وخصوصًا في مجتمعات الخليج العربي من خلال "الفن"، وفن المسلسـلات بالضبط، فمهند لم يكـن إلا "مهنّدًا" لذبح الحياء والغيرة، وإدخال المُشاهد العربي في متاهة من العاطفية المفرطة، وتأجيل العقل، وقبله ذبح رسالة الفن الخالدة التي أشـار إليها مالرو عام (1901م) بأن الفن وحده هو الذي يسـتطيع أن يمنح البشـر إحساسًا حقيقيًّا بتلك العظمة التي طالما جهلوها عن أنفسهم.

وإذا كانت الدراما جزءًا من الوعي والحرية التي ينادي بها الفن، فإن دراما المسلسلات المدبلجة التركيـة هدفها الأخيـر التعمية والاسـتحواذ عن طريق تصويـر المجتمع التركـي بأنه قطعة من الرومانسية الناعمة، مع بث مَشاهد لأجمل المناظر الطبيعية في بلادهم؛ لتتّحد الرومانسية ودعوات السياحة في رسم جمال للروح التركية، كمرحلة من ضمن مراحل تحسين الصورة وتزويقها من خلال باب غيـر متوقّع لا ينتبه له أعتـى المحلّلين السياسـيين والنقاد الفنيين، متجاوزيـن عقبة اللغة بالدبلجة بالعربية، إضافة إلى الدبلجة الاجتماعية للمجتمع التركي، وإظهاره مثاليًّا.

وإذا كان صحيحًا ما يقال بأن المسلسلات التركية المدبلجة قُدّمت لقنوات عربية بالمجان في البداية، بل وتُحمّل المنتج السياسـي الفني تكلفة نَقْلها المباشر للقطة والمشهد إلى اللغة العربية، فإن الأمر يحتاج إلى التوقف والتساؤل بمرارة: مَن كان خلف هذا "التسريب"؟

> **الفن التركي سعى إلى تعبيد الطريق بـ "الزفت" لتنمية السياحة السياسية.**

وإذا كانـت هذه المسلسـلات تفوّقت في جَذْب أرقام عاليـة من المتابعـة العربية؛ لغرابة أجوائها وسـيناريوهاتها التي تعتمد على المفاجأة والإطالة، واسـتطاعت أن تُشرك المشاهد العربي في قضايا الإنسان التركي، وذلك كان هدفًا متقدمًا للدرامـا التركية، فبعده زاد الاسـتثمار العربي في عقارات إسـطنبول وأثرة وطرابـزون وغيرها، بل وانتقلت وجهة السـياح العرب إلى جبال الأناضول ومنمنمـات إسـطنبول، وإلـى حاناتهـا المُدرة، وشـوارعها المؤدية دائمًا لدائرة السياسـة، إلا أن ضحاياهـا كانوا من المراهقين، بعد أن انتبه الرُّوّاد الغيورون من العرب في السياسـة والفن والفكر للعبة الدراما التركية، فأشـاروا إلى الهدف المخبأ في ثنايـا السـيناريو التركي وديكوراتـه الفخمة، و"مكياجه" الفاخر، وهو تقديم صورة سياسية نقية لتركيا غير واقعها.

كانت المسلسـلات التركية المدبلجة غالية الثمن مثل أي مسلسلات مدبلجة في تاريخ الفن، وبعد أن كانت بديلًا جادّيًا للأفلام المترجَمة سـاعدها في ذلك نشـأتها الكبير مع أصل المسلسـل، واعتمادها على السـماع الأسـهل من القراءة، وكان لغلاء أسعارها دور في شـراء القنوات الخليجية "المقتدرة" مالِيًّا لزيارة الأماكن والمواقع الطبيعية في تركيا، فقد استطاعت تلك الأعمال الفنية - التي لا ينقصها بالفعل عناصر التشـويق والجذب- الدخول للقلوب العربية، وبالتالي صناعة رأي عام عربي عاطفي مؤيّد للحالة التركية الغربية، بعد تفريغ العقل العربي من أصول أفكاره وأيديولوجياته بواسطة الفن هذه المرة، أو السبق لتعبئته بالسلع الفكرية التركية.

> **سطو على التاريخ بملايين الدولارات من أجل إعادة العثمانية إلى الواجهة.**

من جانب موازٍ فإن القسم الآخر من الدراما التركية، وهو الدراما "التاريخية" يجد بونًا شاسـعًا بينها وبيـن الدراما العربية؛ فالدراما العربية تهدف إلى أن تقدّم للمُشـاهد مادة ثقافية وفنية بغرض المتعة أولًا، والمنفعة ثانيًا، وثالثًا تقوم على قاعدة معلومـات تاريخية مُتّفَق عليها فـي الغالب عن التاريخ العربي والإسـلامي، أما الدراما التركية التي تُرجمت وذُيلجتْ إلى العربية بأصوات شـخصيات عربيـة، والتي منها على سـبيل المثال لا الحصر: (حريم السـلطان، ومسلسـل أرطغـرل، وقيامة عثمان والمحافـظ، وغيرها كثير)، فقد اتخذت من الإخـراج الضخم، والمَشـاهد المُبهرة، والمحتوى اللغوي القوي؛ لخدمة السياسـة التركية في إعادة العثمنـة التي يُلمح لها تارة المسـؤولون الأتراك، وتارة يعلنونها صراحة ووقاحة.

وكل هـذا الإنتاج الباهظ الذي يمكن تعويضه بإنتاج أقل إنمـا هدفه ليس مزاحمة دور الإنتاج الغربية، ومحاكات منتجاتها، بل لتمجيد الخلافة العثمانية المزعومة وتلميع سلاطينها، وإعادة تغذية الشـخصية العثمانية في الإنسـان التركي بإحياء العنصرية المقيتة في نفوس الشعب التركي تجاه الآخر، وإعطاء الحاكم التركي صفة الحامي والمحافظ على دعائم الخلافة العثمانية، والوريث الشـرعي لها، فمنذ عشرين عامًا نوعْملت الدراما التركية في عقول المراهقين العرب، وأصبحت تديرها بالريموت، حتى إذا كبروا أصبحوا في صف الجوقة التركية.

بعـض المثقّفين والباحثين من العرب الذين صنعتهم الدراما التركية مالت بهم إلى المؤازرة والتأييد للمعلومات المغلوطة التي تَبنّتْها وتَشـوفها بمهارة السياسة، ووفق منهج مبرمَج قد يصل إلى البرمجة الاسـتخبارانية، فها هو باحث عربي في جامعة عربية وإسـلامية يُشهر عن رسالة علمية عنوانها: ، يصف فيها (أرطغرل) بأنه جدّه الأول الغازي، وأن جدّه (فخر الدين باشا) هو المدافع الأخير عن شرف المدينة المنورة، كما وصف العثمانيين بأنّ أجداده شرفاء وصلحاء البشرية وحكماء الأمة.

المتأمل في المشهد السياسي التركي يستطيع القول بكل سهولة وعفوية بأن السحر انقلب على السـاحر، وأصبح السيد رجب أردوغان من حيث لا يدري من أبطال المسلسلات التركية المدبلجة وضحاياها، فهو يغطي شـخصيته بإخراج فني مُتْهر، ويشـتري ظهوره بشـقاء الشعب التركي، في محاولـة أخيرة ومتأجِّرة، فبدل أن يبني للتاريخ التركي الحديث ذهب يسـتجلب التاريخ العثماني بعد طمس الحقائق، وإخفاء العثمانية في ملامح وجهه السياسـي بالإسلاموية في مسلسل طويل جدًّا، سـينتهي لا محالة بمشهد موت المخرج والبطل، الذي بدأ الشعب التركي بكتابة السيناريو له بإظهار غضبه على واقع الحال الاقتصادي والسياسي.

المراجع:

1) محمـد مروان محمد عثماني، اتجاهـات الدراما التركية وأسـاليب التأثير فيها- المسلسـل التاريخي قيامة أرطغرل أنموذجًا، (عمان، الأردن، قسم الدعوة والدراسات الإسلامية، بكلية الدعـوة وأصـول الدين في جامعة العلـوم الإسلامية العالمية، 2018م).

2) صالـح بـن أحمـد الشـامي، وظيفة الفـن وغايتـه، (موقـع شـبكة الألوكة: https://www.alukah.net/literature_language/86322/0/، تاريـخ الزيـارة: 1441/2/20هـ).